صهيوني، ولكن، ذكي !

قبل أيام أعيد انتخاب ناحوم غولدمان رئيسا للمؤتمر اليهودي العالمي. بيد أن انتخاب غولدمان هذه المرة لم ينزلق بيسر. فلاول مرة واجهته معارضة "قوية الشكيمة" -كما درج اسلافنا على القول.

تمثلت المعارضة في جماعة حركة حيروت التي ما زال مناحم بيغن زعيمها الخرافي.

ما احلاكم وانتم لا تعرفون من هو بيغن وماذا يريد؟! طبعا تعرفون. إذن يحق التساؤل: لماذا يعارض بيغن ورهطه في انتخاب غولدمان؟ هل كف غولدمان عن أن يكون "صهيونيا جيدا"؟

ابداء فان ناحوم غولدمان اشد وفاء من ان يتخلى عن جذوره. فما الذي حدث اذن؟

أشارت محاضر المؤتمر، او ما أذيع منها، الى أن هناك استياء شديدا، واستياء، وتحفظا في احسن حال، من التصريحات السياسية الكثيرة التي يطلقها الدكتور ناحوم غولدمان حول القضية العربية-اليهودية. وفي الكثير من التصريحات، المنسوبة إليه، يدعو الدكتور غولدمان الى التعقل والتحول السياسي والى ترميم الرؤية والرؤيا الصهيونيتين المنافيتين للواقع الجديد في المنطقة وفي العالم.

وبقدر ما نفهم فان الدكتور غولدمان يطالب حكام اسرائيل،او يدعوهم، للتحقق من المرئيات والملموسات الجديدة، كالواقع الفلسطيني، وتوازن القوى الدولي، والتضامن العربي، والتحالف الشيوعي-العربي - انه يدعوهم الى اليقظة على المتغيرات الهامة التي اكتسحت حساباتهم القديمة. واذا كان البعض يرون في ذلك تنازلا من جانب غولدمان، ضد الصهيونية، فنحن نرى العكس، نرى ان ناحوم غولدمان هو صهيوني، ولكن ذكي. انه يعلم أن مواصلة المسيرة الصهيونية بالاساليب التقليدية تشكل، في المستقبل، خطرا شديدا على ما حققته الصهيونية من مكاسب اقليمية وسياسية. وهو يعلم، كما نزعم، إن حركة التاريخ وعنصر الزمن ما عادا في صالح الفكر والممارسة الصهيونيين. لذا فهو حريص على ما هو قائم. ولعل الحلم الصهيوني بالدولة اليهودية، الممتدة من النيل الى الفرات، اصبح بالنسبة للدكتور غولدمان كابوسا مخيفا. ومن هنا رغبته في الخروج من هذا الكابوس الى أرض الواقع الصلبة.

كان ذلك في عام ١٩٦٨ -بقدر ما تسعفني الذاكرة .. في قاعة، على جبل الكرمل الحيفاوي، نظم اقاء بين عدد من محرري الصحف والدكتور ناحوم غولدمان. وبناء على الدعوة التي وجهت الينا ذهبت عن طيب خاطر، بل بحماس، لاستمع واناقش. ولا اخفي عنكم انني توقعت من الدكتور غولدمان كلاما غير عادي، بالقياس الى الاسطوانات والكليشيهات الصهيونية التي نسمعها كل يوم.

بينما كان غولدمان يتحدث عن ضرورة الحوار مع جمال عبد الناصر، هب احدهم صارخا بشكل هستيري: "مع من تريدنا ان نتحدث؟ مع ناصر؟ انه اسوأ من هتلر، وتريدنا أن نتحدث معه؟!".

أعذروني، فلم اتصرف آنذاك كما يليق بالناس المتحضرين، لم اطلب حق الكلام، ولم أرد عليه بهدوء. وجدتني اصرخ في وجهه:

"عمن تتكلم؟ عن هتلر؟ وما علاقتنا نحن بهتلر؟ اذا كنت تريد الخوض في التاريخ فانا انصحك بمراجعة ملاحق صحيفة هآرتس في الاسابيع الاخيرة، وسترى من هو الذي سعى لاقامة دولة يهودية برعاية هتلر؟ ثم اذا كنت تملك الوقاحة لدرجة مقارنة ناصر بهتلر، فانا أعلن أنه لا مجال للحوار معكم، ولا يبقى امامي سوى الانصراف!"

قلت إن ناحوم غولدمان رجل ذكي. ويبدو أنه اكتشف على الفور هويتي القومية. فاستوقفني ودنا مني واضعا يده على كتفي بصورة مسرحية (تلقائيةكما اعتقد) وراح يوجه الكلام الى جمهوره بصورة هادئة، مذهلة في هدوئها:

"أترون؟ هذا ما كنت اخشاه.. فاذا كان هذا الشاب قد نشأ في اسرائيل، وتعلم في مدارسها وقرأ صحفها وعاش مؤثراتها، ومع ذلك فهو يتكلم بهذه اللهجة القومية والجريئة، فكيف تتصورون أبناء جيله في العالم العربي؟ وكيف تتصورون الجيل الذي يليه؟ مع جيل آبائهم، كان تعاملنا سهلا.. أما مع هؤلاء فستكون المهمة شاقة للغاية اذا نحن لم نبحث عن طريق جديد.. ومن اجل ذلك لقائي هذا بكم"..

ان الدكتور ناحوم غولدمان صهيوني، ولكن، ذكي!!

وارجو ان نكون متفقين..

اذن، ماذا؟!

والاتحاد ١٩٧٥/٢/١٤